

تحاشي صراع مفتوح بين الجميع في شمال شرق سورية

إحاطة حول الشرق الأوسط رقم 66

بيروت/بيروكسل، 21 كانون الأول/ديسمبر 2018. ترجمة من الإنكليزية

ما الجديد؟ لقد كان قرار ترامب مفاجئاً، إلا إنه جاء في أعقاب تحذيرات سابقة قال فيها إن وجود القوات الأميركية مبرّر فقط ضمن الحملة لإلحاق الهزيمة بتنظيم الدولة الإسلامية. قال ترامب إن المهمة أنجزت، رغم أن تنظيم الدولة ما يزال نشطاً في سورية والعراق.

ما أهمية ذلك؟ لم تحضّر الولايات المتحدة الأرضية السياسية للانسحاب بحيث لا يتسبب في صراعات جديدة. سيكون شركاء الولايات المتحدة السوريين في محاربة تنظيم الدولة، بقيادة المقاتلين الأكراد، عرضة للهجوم إما من قبل النظام السوري أو من قبل تركيا المجاورة. كما يمكن أن يكون للصراع الناجم عن هذا الانسحاب تبعات إنسانية كارثية وأن يوفر لتنظيم الدولة فرصة لإعادة التجمع.

ما الذي ينبغي فعله؟ ينبغي على الولايات المتحدة أن تضغط على تركيا لمنعها من مهاجمة قوات سورية الديمقراطية (قسد) التي يقودها الأكراد. وعليها أيضاً أن تشجع قسد على التوصل إلى صفقة مع النظام السوري تحقق الاستقرار؛ كما ينبغي على روسيا الانخراط في حوار مع قسد، والنظام وتركيا. ومن شأن أي فسخة توفرها واشنطن مهما محدوديتها أن تسمح بانسحاب أميركي منظم.

I. لمحة عامة

في 19 كانون الأول/ديسمبر، وبعد أيام من تحدث الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى نظيره التركي، رجب طيب أردوغان، أعلن المسؤولون الأميركيون أن الولايات المتحدة كانت قد بدأت بسحب قواتها العسكرية وموظفيها المدنيين من شمال شرق سورية. كان ترامب قد أبلغ أردوغان أن تلك كانت نيته، لكن بالنسبة لجميع الآخرين تقريباً، فإن الخبر كان مفاجئاً، وبالنسبة لكثيرين كان يشكل مخاطرة؛ حيث إن هذا التحرك، إذا أتى متسرعاً، فإنه يخاطر بنشوء الفوضى في أعقابها. سيكون شركاء واشنطن السوريين في محاربة تنظيم الدولة، بقيادة المقاتلين الأكراد، عرضة للهجوم إما من قبل النظام السوري أو من قبل تركيا المجاورة، التي تعتبرهم إرهابيين. كما يمكن للصراع الناشئ أن يوفر لتنظيم الدولة الفرصة التي يحتاجها لإعادة التجمع.

من شبه المؤكد أنه لم يكن من الحكمة أن تتعهد الولايات المتحدة بوجود عسكري مفتوح في شمال شرق سورية، كما كان المسؤولون الأميركيون قد فعلوا من قبل. لكن إذا أرادت الولايات المتحدة سحب قواتها، فإن عليها أن تضمن قدرة شركائها في قسد على البقاء بدونها. في هذه اللحظة، لا يبدو أن الولايات المتحدة جهزت الأرضية السياسية التي يمكن أن تسمح لها بالانسحاب بشكل مسؤول.

مع وصولها إلى المراحل الأخيرة من حملتها العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية، ينبغي على الولايات المتحدة أن تضغط على تركيا لمنعها من مهاجمة القوات الكردية، وفي الوقت نفسه أن تيسر التوصل إلى صفقة تحقق الاستقرار بين قسد بقيادة الأكراد وبين النظام السوري. وهذا لن يكون سهلاً. المحادثات التي جرت في وقت سابق من هذا العام بين ممثلين عن شمال شرق سورية ودمشق تعثرت بعد أن رفض النظام تلبية مطالب باللامركزية والحكم الذاتي المحلي. قد يصبح الموقف التفاوضي للنظام أقل مرونة الآن وقد أعلنت الولايات المتحدة رحيلها، والذي سيترتب عليه انتهاء الضمانة التي قدمتها بتوفير الحماية العسكرية.

رغم ذلك، فإن الانسحاب الأميركي الوشيك ينبغي أن يقنع الجميع بالحاجة الملحة للتوصل إلى صفقة يتم بموجبها إعادة سيادة الدولة السورية لشمال شرق البلاد؛ وتحرك القوات السورية إلى الحدود مع تركيا، بدعم روسي، وبالتالي تهدئة الهواجس الأمنية التركية ومنع هجومها على قسد؛ والسماح بدرجة من الحكم الذاتي للأكراد. في الشهر الأخير، لم تشجع الولايات المتحدة قسد على السعي للتوصل إلى صفقة؛ أما الآن فينبغي لهذا الموقف أن يتغير. قسد بحاجة لوقت ومساحة كافيين للتفاوض بجديّة مع دمشق. أما البديل فإنه قد يكون صراعاً عسكرياً يشارك فيه الجميع ينشأ عن الصراع بين قسد، والقوات التركية والسورية؛ وهو صراع قد يكون له تبعات إنسانية كارثية وقد يؤدي إلى عودة تنظيم الدولة الإسلامية إلى النشاط.

II. "الهزيمة الدائمة"

يشكل قرار ترامب بسحب القوات العسكرية من سورية أحدث تقلبات السياسة الأميركية حيال سورية خلال رئاسته؛ حيث صارح مسؤولو الأمن القومي بشكل متكرر في مواجهة رغبته الغريزية بتجنب الانخراط المفتوح في الشرق الأوسط.¹ حتى لحظة هذا التحول المفاجئ الذي قام به ترامب، كان أولئك المسؤولون يربطون وجود القوات الأميركية بـ"الهزيمة الدائمة" لتنظيم الدولة الإسلامية، الذي كان يتطلب، طبقاً لتعريفهم الواسع، حدوث تغيير جذري في النظام السياسي السوري وخروج القوات التي يقودها إيران من سورية.² الآن، أكد ترامب في تغريدة له صبيحة إعلان الانسحاب في 19 كانون الأول/ديسمبر: "لقد هزمتنا تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، وهو السبب الوحيد لوجودنا هناك خلال رئاسة ترامب".³

كان الرئيس ترامب قد اتخذ هذا القرار بشأن التحول في سياسته – دون علم وزارتي الخارجية والدفاع – خلال مكالمة هاتفية أجراها في 15 كانون الأول/ديسمبر مع الرئيس التركي أردوغان. على مدى الشهر الماضي، كانت تركيا قد صعدت ضغوطها على واشنطن بشأن الوجود الأميركي في شمال شرق سورية. وكان قد بات واضحاً لأنقرة أن "الهزيمة الدائمة" لتنظيم الدولة كانت تعني استمرار رعاية واشنطن لقسد ودعمها للكيان الذي تسيطر عليه على الأرض. قسد تقودها وحدات حماية الشعب، النسخة السورية من حزب العمال الكردستاني، الذي يشن تمرداً مسلحاً منذ عقود في تركيا؛ وبالتالي فإن أنقرة تعتبرها تنظيمياً إرهابياً وتجد أي دعم أميركي لها أمراً غير مقبول. عندما أقامت القوات الأميركية نقاط مراقبة على طول الحدود السورية-التركية في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر – لحماية تركيا من عمليات التسلل عبر الحدود، كما ادعى المسؤولون الأميركيون – ازداد غضب أنقرة، حيث اعتبرت التحرك عملاً عدائياً مصمماً لحماية عدوها اللدود، حزب العمال الكردستاني.⁴

¹ انظر "The Making and Unmaking of Syria Strategy under Trump", The Century Foundation, 29 November 2018.

² "إحاطة حول الاجتماع بشأن سورية والاستراتيجية الأميركية"، وزارة الخارجية الأميركية، 27 أيلول/سبتمبر 2018. شرح السفير جيمس جيفري، الممثل الخاص للولايات المتحدة في سورية، منطق "الهزيمة الدائمة" في إفادته التي قدمها في 29 تشرين الثاني/نوفمبر أمام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب قائلاً: "أولاً، لا يمكن أن نضمن الهزيمة الدائمة لتنظيم الدولة الإسلامية – وهذا ما جربناه، بما في ذلك ما جربته أنا شخصياً في العراق بين عامي 2010 و2012، ولا هزيمة أي تنظيم إرهابي – إذا لم نعالج الأسباب الجوهرية لنشوته. إن الأسباب الجوهرية لظهور تنظيم الدولة، بشكل أساسي في سورية، لكن إلى حد ما في العراق، كانت تتمثل، أولاً وقبل كل شيء، في السلوك المروع لنظام الأسد ضد شعبه، الذي لم يترك لأولئك الناس فرصة أخرى سوى اللجوء لأي تنظيم يحمل السلاح ضد الأسد، بما في ذلك الإرهابيين للأسف. ثانياً، تعود تلك الأسباب إلى الدور الإيراني، الذي نشر أزرعه في سائر أنحاء العالم العربي السني. وهذه قوة خارجية تتسبب في ظهور أجسام خبيثة تقاومها إذا لم نستجِب – وأعني المجتمع الدولي – بطريقة سليمة. نحن لم نستجِب بطريقة سليمة للتغلغل الإيراني في هذه المناطق وبالتالي وقعت شعوب المنطقة، بسبب بأسها، ضحية للادعاءات والوعود الزائفة لتنظيم الدولة والتنظيمات الإرهابية الأخرى. ولذلك ينبغي علينا القيام بهذه الأمور الثلاثة، إذ لا نستطيع فقط الاعتماد على إلحاق الهزيمة العسكرية بالخلافة الآن في منطقة ما بين النهرين، وعلى نهر الفرات، وعلى الحدود العراقية. علينا أن نتبع الأسباب الجوهرية، وسياستنا تهدف إلى ذلك". "السياسة الأميركية في سورية"، C-SPAN، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2018 (الدقيقة 15:12).

³ تغريدة للرئيس الأميركي دونالد ترامب، الساعة 7:29 صباحاً، 19 كانون الأول/ديسمبر 2018. @realDonaldTrump

⁴ David Vergun, "U.S. Setting Up Observation Posts on Syria-Turkey Border", U.S. Department of Defense, 21 November 2018.

في 12 كانون الأول/ديسمبر، أعلن أردوغان أن القوات التركية ستتدخل في سورية "خلال أيام". أطلق هذا الإعلان أجراس الإنذار في واشنطن.⁵ حذر البنتاغون من أن أي هجوم على شمال شرق سورية سيكون "غير مقبول".⁶ عندما تحدث ترامب إلى أردوغان في 15 كانون الأول/ديسمبر، توقع المسؤولون الأميركيون أن يكرر هذه الرسالة على مسامحة بقوة. لكنه لم يفعل. بدلاً من ذلك، صدم مسؤولي إدارته بإخبار الرئيس التركي بأن هجوماً تركيا لا يعقل بالنظر إلى أن الولايات المتحدة ستسحب وشيكاً من سورية. أحد كبار المسؤولين الأميركيين لخص المزاج السائد بين زملائه، مشيراً إلى الانسحاب الأميركي الفوضوي من فينتام قبل عقود، وذكر أنه علق قائلًا: "لم أعين في هذا المنصب لأكون مسؤولاً عن سايعون أخرى".⁷

رغم أن قرار ترامب كان صادمًا، لكنه لم يكن مفاجئاً فعلاً؛ فقد أكد دائماً أن اهتمامه بسورية تنحصر بهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية.⁸ في آذار/مارس 2018، نقض التزاماً سابقاً مفتوحاً للبقاء في سورية بالإعلان، دون أن يكون ذلك رداً على أي حدث، بأن الولايات المتحدة ستسحب قواتها من سورية "قريباً جداً".⁹ وفي مداوات داخلية تالية، اختار الانسحاب من سورية حتى ولو كان الثمن المحتمل إحداث فراغ، كما حذر مساعده، يمكن أن تملأه روسيا وإيران.¹⁰

في الأشهر التي تلت، أفتعه مسؤولو الأمن القومي الأميركي - بمساعدة من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون¹¹ - بالبقاء في سورية كجزء من استراتيجية إقليمية لفرض "ضغوط قصوى" على إيران.¹² لكن لم يكن لذلك الاعتبار ما يكفي من القوة لنقض ميول ترامب الراسخة سوى لهذه المدة فقط.

في الحقيقة، ومنذ البداية، فإن خطة إدارة ترامب في استخدام الوجود الأميركي في شمال شرق سورية للحد من النفوذ الإيراني في هذا البلد لم تكن واقعية ولا عملية؛ حيث إن بضعة آلاف من القوات الأميركية ما كانوا ليحدثوا فرقاً ملموساً حيال نفوذ إيران. كما أنها كانت تخاطر بالتسبب بتصعيد مضادٍ وخطير من قبل النظام السوري وحلفائه. يمكن القول إن إعلان الانسحاب يحل تلك المشاكل المحتملة.

لكن إذا كان سيحل بعض المشاكل، فإنه سيخلق مشكلة أخرى؛ فرغم حديث المسؤولين الأميركيين عن "الهزيمة الدائمة" لتنظيم الدولة الإسلامية، فإنهم قد يكونوا منحوه فعلياً فرصة جديدة للحياة. في الواقع، إذا تسبب الانسحاب السريع في صراع مفتوح تشارك فيه قسد، والنظام السوري والقوات التركية، يمكن لتنظيم الدولة أن يستغل الفوضى الناشئة ليعاود الصعود. من منظور أوسع، فإن المفارقة هي أن المسؤولين الأميركيين بسبب الطريقة التي وسعوا فيها مفهوم "الهزيمة الدائمة" لتنظيم الدولة لتشمل جملة من الأهداف التي قد تكون غير المتعلقة وفي إطار زمني غير محدد - بدلاً من وضع هدف محدد والتخطيط لخروج منظم - فإن هؤلاء المسؤولين قد يكونوا أهدروا فرصة لتأمين مكاسب الحملة ضد تنظيم الدولة بعد انسحاب الولايات المتحدة. بدلاً من ذلك، فإنهم قد يكونوا جهزوا الولايات المتحدة لخروج مفاجئ وموجع يخاطر بهزيمة تنظيم الدولة جزئياً على الأقل.

رغم تغريدة ترامب، فإن تنظيم الدولة لم يهزم بعد، فهو يحتفظ بموطئ قدم يحافظ عليه بعناد على ضفة نهر الفرات قرب الحدود مع العراق، حيث تمكن مقاتلوه من صد قسد لأكثر من عام.¹³ كما أن لديه خلايا سرية

⁵ "Turkey will launch new military operation in Syria within days: Erdoğan", *Hürriyet Daily News*, 12 December 2018.

⁶ Ryan Browne, "US warns Turkey not to attack Syria", CNN, 12 December 2018.

⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أميركي رفيع، كانون الأول/ديسمبر 2018.

⁸ على سبيل المثال، انظر Monica Langley and Gerard Baker, "Donald Trump, in exclusive interview, tells *WSJ* he is willing to keep parts of Obama health law", *Wall Street Journal*, 11 November 2016.

⁹ Michael Crowley and Nahal Toosi, "Trump wants 'out' of Syria 'very soon,' contradicting top officials", *Politico*, 29 March 2018.

¹⁰ الرئيس ترامب بتعليقاته في آذار/مارس ونيسان/أبريل، انظر "Remarks on the Way Forward for the United States Regarding Syria", U.S. Department of State, 17 January 2018.

¹¹ Matthew Lee and Josh Lederman, "Trump wants out of Syria, but don't say 'timeline'", Associated Press, 6 April 2018.

¹² "Syria air strikes: Macron says he convinced Trump not to pull out troops", BBC, 16 April 2018.

¹³ Karen DeYoung, "Trump agrees to an indefinite military effort and new diplomatic push in Syria, U.S. officials say", *Washington Post*, 6 September 2018.

تستمر بتنفيذ التفجيرات والاعتقالات خارج ذلك الجيب على النهر في سورية والعراق على حد سواء. كما أن لدى التنظيم عدد غير معروف من المتعاطفين في المجتمعات المحلية التي حكمها لمدة ثلاث سنوات.¹⁴

إن إلحاق هزيمة فعلية بتنظيم الدولة لا يتطلب وجوداً عسكرياً أميركياً طويلاً الأمد في شمال شرق سورية؛ بل إن استمرار الانتشار العسكري الأميركي يمكن في الواقع أن يثير الاستياء بشكل يزعزع الاستقرار على المدى المتوسط، مع تشجيع النظام السوري وآخرين للموالين وللسكان المحليين المستاءين على الانخراط في عمليات عنف وتخريب.¹⁵ في النهاية، كانت القوات الأميركية ستغادر – وفي الواقع ينبغي أن تغادر. لكن كان ينبغي لهذا أن يكون مسبقاً بالحد الأدنى من التحضيرات. بدلاً من ذلك، فإن الوعود بوجود مستدام تبعها إعلان بخروج سريع. إن انسحاباً أميركياً مفاجئاً وغير منسق من شأنه أن يعرض حلفاء الولايات المتحدة الأكراد لهجوم مدمر من قبل النظام السوري والقوات التركية، مع ما سيتبع ذلك من فوضى تسمح بعودة تنظيم الدولة إلى الظهور من جديد.

III. الأكراد يتعرضون للخذلان، مرة أخرى

يتمثل الأثر المباشر والأكثر إثارة للقلق لإعلان انسحاب الولايات المتحدة في ترك سكان الشمال الشرقي والحليف الرئيسي للولايات المتحدة في الحملة ضد داعش، أي قوات سورية الديمقراطية التي يقودها الأكراد، في وضع حرج.

في الأشهر الأخيرة، انخرطت قسد في محادثات حول الترتيبات الإدارية والسياسية المستقبلية مع النظام السوري، لكن دون نجاح. كانت تعليقات ترامب في آذار/مارس 2018 التي أشار فيها إلى أن الولايات المتحدة ستسحب قد دفعت قسد إلى الشروع في محادثات مع دمشق؛ ففي تموز/يوليو وأب/أغسطس، التقى وفد مدني مرتبط بقسد بمسؤولين حكوميين في العاصمة السورية. وراء الكواليس، كانت روسيا أيضاً تلعب دور الوسيط. غير أن المفاوضات وصلت بسرعة إلى طريق مسدود. لم تقترح دمشق سوى تعديلات طفيفة على نظام الإدارة المدنية داخل الهيكلية التنظيمية للنظام، بينما أصر الممثلون المرتبطون بقسد على إجراء مفاوضات حول الدستور السوري وقيام لا مركزية بدرجة جوهرية.¹⁶ في هذه الأثناء، وحالما كانت إدارة ترامب قد قررت (فيما بدا) البقاء إلى ما لا نهاية، طمأن المسؤولون الأميركيون شركاءهم في قسد بأن الولايات المتحدة ستبقى، فأراحتهم بذلك من الضغوط للتوصل إلى اتفاق. غيّر المسؤولون لهجتهم حيال المفاوضات مع النظام، ولم يشجعوا قسد على متابعة المحادثات.¹⁷

الآن، بات على قسد أن تستأنف المحادثات بجدية، وإن يكن من موقف تفاوضي أضعف بكثير. يمكن للعلاقات التاريخية بين وحدات حماية الشعب/حزب العمال الكردستاني ودمشق أن تساعد في دفع هذه المفاوضات إلى الأمام، إلا أن الطريق المسدود الذي وصلت إليه في الماضي يظهر الفجوة الواسعة بين ما تريده قسد وما يمكن لدمشق أن تقدمه. ينبغي سد هذه الفجوة إذا أراد الطرفان التوصل إلى اتفاق يمكن أن يوقف هجوماً تركياً على قسد.

للطرفين دوافعهما للتوصل إلى اتفاق. ولا شك أن لدى قسد دافع أكبر؛ فهي الطرف الذي يواجه احتمال الغزو التركي في مكان ما على الحدود السورية الشمالية الطويلة. ولدى أنقرة ما يبرر ثققتها بأن بوسعها سحق قسد إذا خرمت الأخيرة من الدعم العسكري الأميركي بعد أن كانت قد وجهت ضربة قوية لوحدات حماية الشعب في وقت سابق من هذا العام في عفرين، وهو جيب في محافظة حلب السورية يتميز بكثرة التلال. لكن دمشق أيضاً بحاجة إلى اتفاق؛ فدون اتفاق، يخاطر النظام بخسارة المزيد من الأراضي السورية لتركيا. ما تزال سورية تحتج حتى الآن على "سلخ" لواء الإسكندرون الساحلي عن سورية في

¹³ Falih Hassan and Rod Nordland, "Battered ISIS keeps grip on last piece of territory for over a year", *The New York Times*, 9 December 2018.

¹⁴ انظر Liz Sly, "America's hidden war in Syria", *Washington Post*, 14 December 2018.

¹⁵ مقابلات واتصالات أجرتها مجموعة الأزمات، كانون الثاني/يناير – أيار/مايو 2018. انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 190، **التعامل مع مرحلة جديدة خطيرة في شمال شرق سورية**، 5 أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في وحدات حماية الشعب/حزب الاتحاد الديمقراطي، شمال شرق سورية، تموز/يوليو – آب/أغسطس 2018. انظر تقرير مجموعة الأزمات، **التعامل مع مرحلة جديدة خطيرة في شمال شرق سورية**، 5 أيلول/سبتمبر 2018، مرجع سابق.

¹⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أميركيين، كانون الأول/ديسمبر 2018.

العام 1938.¹⁸ منذ العام 2016، سيطرت تركيا على مناطق إضافية في حلب لإحباط تقدم وحدات حماية الشعب غرباً على الحدود التركية الجنوبية ونشرت قوات تركية على نقاط المراقبة حول محافظة إدلب التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة. ولا يزال من غير الواضح كيف أو متى ستغادر تلك القوات التركية. بالنسبة للنظام، فإن غزو تركيا لشمال شرق سورية يمكن أن يعني التخلي إلى أمد غير محدود عن المناطق السورية الأغنى بالنفط والقمح.

ثقة المسؤولين الأتراك محدودة بقدرة النظام السوري أو رغبته بتأمين الحدود السورية التركية وتحييد ما ترى فيه أنقرة تهديداً من وحدات حماية الشعب/حزب العمال الكردستاني. ففي عفرين، تابعت أنقرة هجومها رغم دخول وحدات رديفة تابعة للنظام إلى ميدان المعركة مع وحدات حماية الشعب.¹⁹ رغم ذلك، فإن نشر قوات الجيش السوري على الحدود الشمالية الشرقية يمكن أن يدفع تركيا إلى إعادة حساباتها. قد لا تكون تركيا مستعدة لمهاجمة القوات العسكرية الرسمية لجارتها ذات السيادة، خصوصاً إذا وفرت روسيا الحماية لهذه القوات.

يمكن للولايات المتحدة أن تلعب دوراً في كبح جماح تركيا بينما تتفاوض قسد مع دمشق. للولايات المتحدة نفوذ قسري على تركيا يتخذ شكل العقوبات التي فرضتها عليها لتأمين إطلاق سراح القس المحتجز أندرو برونسون.²⁰ لكن إدارة ترامب بذلت أيضاً جهوداً كافية لإصلاح العلاقات الثنائية مع تركيا، بما في ذلك وضع إجراءات مثل "خارطة طريق" منبج والآن الانسحاب من شمال شرق سورية، بحيث أشاعت قدراً لا بأس به من حسن النوايا.²¹ ينبغي على ترامب أن يستثمر ذلك ليضمن موافقة تركية على عدم شن هجوم في الشمال الشرقي. بعد إعلان ترامب، فإن الرئيس التركي أردوغان قال إنه سيؤجل أي عمل عسكري جديد.²²

ومع ذلك، فإن دعم روسيا الحقيقي لأي اتفاق هو الذي سيكون محورياً. فروسيا في موقع مناسب يمكنها من أن تأخذ بالاعتبار الهواجس السورية والتركية على حد سواء بالنظر إلى أنها تدعم عودة سيادة دمشق على كل الأراضي السورية، وفي الوقت نفسه لها مصلحة في المحافظة على علاقات قوية مع أنقرة. في حالة عفرين السابقة، لم تكن روسيا مستعدة لدعم مجرد عودة رمزية للنظام كانت ستترك وحدات حماية الشعب لتمارس سيطرة فعلية في حين تبقى هواجس تركيا الأمنية دون معالجة.²³ هذه المرة يمكن للأمر أن تكون مختلفة؛ فكما فعلت روسيا مع إسرائيل والأردن في جنوب غرب سورية في وقت سابق من هذا العام، يمكنها العمل نحو حل يعيد فعلياً الشمال الشرقي إلى سيطرة النظام بينما يعالج بشكل فعلي هواجس تركيا

¹⁸ "في ذكرى جريمة سلخ لواء الإسكندرون... لا يموت حق وراءه مطالب"، سانا، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. الإسكندرون - الذي بات اليوم ولاية هاتاي التركية - ضم إلى تركيا في استفتاء أجري في العام 1939 تطعن سورية في نزاهته.

¹⁹ انظر تقرير مجموعة الأزمات، **التعامل مع مرحلة جديدة خطيرة في شمال شرق سورية**، مرجع سابق.
²⁰ احتجز القس الأميركي جونathan برونسون في تركيا لنحو سنتين بتهمة تتعلق بالتجسس، ما دفع إدارة ترامب في النهاية إلى فرض عقوبات على تركيا للضغط من أجل إطلاق سراحه. أصدرت محكمة تركية أمراً بإطلاق سراحه في تشرين الأول/أكتوبر 2018. انظر Adam Goldman and Gardiner Harris, "U.S. Imposes Sanctions on Turkish Officials Over Detained American Pastor", *The New York Times*, 1 August 2018; Carlotta Gall, "Turkey Frees Pastor Andrew Brunson, Easing Tensions With U.S.", *The New York Times*, 12 October 2018.

²¹ في حزيران/يونيو 2018، أعلنت تركيا والولايات المتحدة "خارطة طريق" لتحديد وتنفيذ ترتيبات الحكم والأمن المتفق عليها في المناطق الخاضعة لسيطرة قسد في مدينة منبج شرق حلب. انظر تقرير مجموعة الأزمات، **التعامل مع مرحلة جديدة خطيرة في شمال شرق سورية**، مرجع سابق. وقد تحرك الجانبان قُدماً منذ ذلك الحين لتنفيذ ذلك الاتفاق على مراحل، رغم أن التنفيذ لم يحدث بسرعة كافية بالنسبة لأنقرة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أتراك وأميركيين، أنقرة وواشنطن، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

²² "المكالمة الهاتفية التي أجريتها مع ترامب، إضافة إلى الاتصالات التي أجرتها وحدتنا الدبلوماسية والأمنية، والبيانات الصادرة عن الجانب الأميركي دفعتنا إلى الانتظار لفترة من الزمن [قبل إطلاق عملية شرق نهر الفرات]. ... بالطبع، هذه ليست عملية انتظار مفتوحة". رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، "تركيا ستؤجل عملية شرق الفرات، سورية"، وكالة أنباء الأناضول، 21 كانون الأول/ديسمبر 2018.

²³ في عفرين، أكدت روسيا لوحدة حماية الشعب أن العودة الكاملة للنظام، بما في ذلك جيشه وأجهزته الأمنية، هي وحدها القادرة على منع هجوم تركي. رفضت وحدات حماية الشعب ذلك، وبالتالي وقفت روسيا على الحياد بينما قامت تركيا بغزو المنطقة. العرض المقابل الذي قدمته وحدات حماية الشعب بانتشار عسكري سوري رمزي على الحدود وإعادة رموز الدولة السورية، بما في ذلك الأعلام، لم تقبله دمشق. لكن إلى أن حل الوقت الذي قرر فيه النظام السوري إرسال قوات عسكرية سورية إلى عفرين دعماً لوحدة حماية الشعب، كانت تركيا في منتصف هجومها ولم يكن من الممكن ردعها. المرجع السابق.

الأمنية.²⁴ بالنسبة للبلدان المجاورة التي لا تربطها علاقات حالياً أو أن علاقاتها معطلة مع النظام السوري، تبدو روسيا بالفعل مستعدة لكي تكون صلة وصلها مع دمشق.²⁵

أما إذا كانت روسيا مستعدة للتفاوض دفاعاً عن قسد، فهذه قضية أكثر صعوبة. في الجنوب الغربي، سهلت روسيا عودة النظام السوري؛ حيث قامت بنشر الشرطة العسكرية، وتوسطت بين السلطات والسكان المحليين، كما توسطت لضمان إطلاق سراح محتجزين معينين. لكنها لم توقف تقدم النظام، أو تمنع الدولة السورية من ممارسة سيطرتها وسيادتها على المواطنين السوريين.²⁶ بالنظر إلى علاقاتها مع قسد، من المرجح أن تكون روسيا مهتمة بترتيب شروط أفضل لها بعد خضوعها لسيطرة النظام السوري – لكنها ستكون معاملة تفضيلية ضمن حدود، إذا كان بالإمكان الاسترشاد بتجارب الماضي.

في الوقت نفسه، فإن مساعدة أكراد سورية بخدم المصالح الروسية؛ إذ يبدو أن أولوية روسيا القصوى في سورية هي استعادة سيادة الدولة السورية على كامل الأراضي السورية. كما أن لديها دافع في منع تركيا من الاستيلاء على أجزاء أخرى من البلاد، بما في ذلك في الشمال الشرقي، وفي التوسط في ترتيب بالنسبة لقسد يسمح للنظام بالعودة وبالحد الأدنى من العنف. وبفعلها ذلك، يمكنها أن تدعي أنها ساعدت المكونات الثلاثة جميعها وبالتالي عززت موقعها الإقليمي. تكون قد ساعدت سورية بالسماح لها باستعادة سيادتها، وتركيا بالحد من سلطة الأكراد ومنعهم من السيطرة على الحدود التركية؛ والأكراد بتجنب هجوم عسكري عليهم.

IV. الخلاصة

إن انسحاباً أميركياً من سورية ليس بالضرورة قراراً خاطئاً، أو عاملاً يمكن أن يتسبب في صراع مدمر. في الواقع فإن "كيفية" حدوث ذلك الانسحاب هي الأمر البالغ الأهمية. في حين لا يمكن استبعاد تقلب آخر من قبل ترامب، يبدو أنه وضع الولايات المتحدة على مسار الخروج من سورية، لكن التفاصيل ما تزال غير واضحة. قد يكون ما يزال هناك بعض المرونة في سرعة ذلك التحرك؛ حيث إن أي وقت إضافي، ولو كان محدوداً، يمكن أن يسمح للجيش الأميركي والقوات الحليفة بالإعداد لخروج منظم.

في الوقت المتبقي، مهما كان طوله، ينبغي على الولايات المتحدة أن تفعل كل ما في وسعها للضغط لإقناع تركيا بعدم شن هجوم على المناطق الخاضعة لسيطرة قسد في الوقت الذي تسمح فيه بانطلاق المفاوضات بين قسد ودمشق.²⁷ لقد قاتلت قسد إلى جانب الولايات المتحدة ونيابة عنها لطرده تنظيم الدولة الإسلامية من معقلها الرئيسي، الذي كان التنظيم يخطط فيه أو على الأقل يوحي منه بشن هجمات في سائر أنحاء العالم. سيكون للتخلي عن قسد تبعات سلبية دائمة على قدرة الولايات المتحدة على الحصول على الشركاء في محاربة الإرهاب؛ كما أن ذلك سيكون تصرفاً خاطئاً.

²⁴ قبل هجوم النظام السوري لاستعادة الجنوب الغربي الذي كان تحت سيطرة المعارضة، كانت أبرز مخاوف الأردن تتمثل في اندفاع محتمل للاجئين نحو حدودها، في حين كانت إسرائيل قلقة بشأن اقتراب الوحدات العسكرية المدعومة إيرانياً من مرتفعات الجولان المحتلة وتأسيسها لوجود دائم هناك. انظر تقرير مجموعة الأزمات رقم 187، **حفاظاً على الهدوء في الجنوب السوري**، 21 حزيران/يونيو 2018. نظمت روسيا والنظام السوري هجومهما على مراحل وفاوضا على تسويات مع المعارضة المسلحة بطريقة فرقت الحشود الأولية للمهجرين على الحدود الأردنية، ومن ثم عزلا الحدود الأردنية بشكل كامل مع تقدم الهجوم باتجاه الجولان. ورغم بعض التقارير غير المؤكدة عن حدوث عكس ذلك، لا يبدو أنه كان هناك انخراط واسع النطاق للوحدات الخاضعة للسيطرة الإيرانية في الهجوم. المسؤولون الإسرائيليون يقولون اليوم إن الوجود المرتبط بإيران في الجنوب الغربي هو الآن بمستويات يمكن احتمالها. طبقاً لأحد المسؤولين الإسرائيليين: "إنه وجود محدود جداً الآن، ولا يشكل هاجساً مهماً. بالطبع، نحن نتابع المراقبة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

²⁵ طبقاً لدبلوماسي غربي: "هذا هو الحال مع الجميع – الولايات المتحدة، والأردنيين، والعرب. لا أحد يريد أن يتحدث إلى النظام – لا يريدون، أو لا يستطيعون. الجميع يتحدثون إلى الروس لأنهم يستطيعون فعل ذلك، إنها حالة مضطربة إلى درجة أن روسيا أصبحت الوسيط المعتدل!". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، عمان، تشرين الأول/أكتوبر.

²⁶ أحد العاملين السوريين في مجال المساعدات قال: "حتى روسيا لا تحاول تقليص قوة المخابرات السورية. يقول الروس: 'أنتم مواطنون سوريون، وهذه حكومتكم، وتستطيع أن تفعل ما تريده إذا كان لديها شيء ضدكم'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، عمان، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

²⁷ وصفت مجموعة الأزمات الخطوط العريضة لمثل هذا الاتفاق في تقرير مجموعة الأزمات، **التعامل مع مرحلة جديدة خطيرة في شمال شرق سورية**، مرجع سابق.

كما ينبغي على روسيا أن تستخدم الوقت المتاح لها لضمان عدم انزلاق مرحلة ما بعد الولايات المتحدة إلى الفوضى. ينبغي على روسيا إطلاق محادثات مع تركيا، والنظام السوري وقسد تهدف إلى إطلاق مرحلة انتقالية في شمال شرق سورية من شأنها أن تمنع صراعاً يشارك فيه الجميع. من المرجح أن تتطلب مثل تلك المرحلة الانتقالية عودة قوات النظام السوري إلى الحدود السورية-التركية وكذلك التوصل إلى ترتيب سياسي يسمح للأكراد السوريين بالتمتع بدرجة من الحكم الذاتي المحلي.

بيروت/بروكسل 21 كانون الأول/ديسمبر 2018



International Crisis Group

Headquarters

Avenue Louise 149, 1050 Brussels, Belgium

Tel: +32 2 502 90 38. Fax: +32 2 502 50 38

brussels@crisisgroup.org

New York Office

newyork@crisisgroup.org

Washington Office

washington@crisisgroup.org

London Office

london@crisisgroup.org

Regional Offices and Field Representation

Crisis Group also operates out of over 25 locations in Africa, Asia, Europe, the Middle East and Latin America.

See www.crisisgroup

PREVENTING WAR. SHAPING PEACE.